

على الصلة الوثيقة والعضوية بين الصورة العربية وانساقها الفرعية، القطرية. ولقد تكوّنت الصورة العربية عند الغرب خلال مراحل من المواجهة والصدام، ومن الالتقاء والتواصل، بين الطرفين، عبر حقبة ممتدة في الزمن.

هناك دراسات اهتمت بالنظر الى مراحل هذا التواصل وبالابعاد الفكرية التي نجمت عنه، ومن ثم الصورة المتبادلة بين العرب والغرب. ومن المرجح ان المراحل التي تكوّنت عبرها الصورة العربية هي ذاتها التي شكّلت محددات الصورة الفلسطينية في الغرب، بيد انه يبرز بعض الملامح التي تختص بها الصورة الفلسطينية في هذه اللقاءات، بحيث يمكن اعتبارها محددات «أخص» تتعلق بهذه الصورة، وخصوصاً اذا اخذنا في الاعتبار ذلك التركيز الصهيوني - الاسرائيلي على النمط الفلسطيني في الصورة العربية، منذ بداية الصراع العربي - الصهيوني.

وعلى هذه الارضية الفكرية يمكن حصر محددات الصورة الفلسطينية، وبالتالي ابعاد ومضمون هذه الصورة، فيما يلي:

أولاً: اللقاءات الغربية بالعرب والاسلام

تمت هذه اللقاءات بنوعيتها، المواجهة والحوار، في اكثر من مرحلة تاريخية، ولكل مواصفاتها الخاصة وانعكاساتها المتميزة. ومن أهم هذه المراحل، مرحلة الغزو الاسلامي العربي في القرنين السابع والثامن الميلاديين؛ ثم مرحلة الحروب الصليبية في ما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر؛ واخيراً مرحلة الخبرة العثمانية فيما بعد.

في المرحلة الاولى، اغرقت اللغة والحضارة العربية اوروبا، فوقفت موقفاً عدائياً من العرب^(٦). وكانت النظرة الاوروبية الى العالم الاسلامي على انه مصدر تهديد ومبعث رهبة وخوف^(٧).

تأتي الحروب الصليبية بعد تلك المرحلة مباشرة، لكي تتشكّل ضرباً من التآرضد العرب، وفيها تعرّف كل طرف على الآخر؛ كما وقف الغرب، الى حد ما، على جوانب ايجابية من الحضارة العربية.

ثم جاءت مرحلة الغزو التركي لاوروبا ومحاصرة فيينا في الشرق في الوقت الذي رجحت كفة اوروبا في اقصى غرب العالم الاسلامي، الى ان حسم الموقف الحضاري لصالح الغرب عموماً، وبدأ اولئك ينظرون الى العرب نظرة المنتصر الى المهزوم؛ كما ربطوا بين صورة العرب وبين الطابع التركي، بحيث تحمل العرب كل السلبيات التي ارتبطت بالصورة التركية^(٨).

لقد كان الاسلام، في شكله العربي أو العثماني أو شمال افريقي أو الاندلسي، طغى على المسيحية الاوروبية في معظم هذه المراحل، على الاقل من الناحية القيميّة، ان لم يكن من الناحية المادية، وهددها تهديداً فعلاً، ولم يغب عن ذهن اي اوروبي، ماضياً (وربما حتى الوقت الحاضر)، كون الاسلام قد فاق روما (وخلفاءها) روحاً واشعاعاً، وسما عليها^(٩).

وفي الوقت الذي صعد نجم الغرب حضارياً برزت فلسطين في الصورة، حيث اتضح وجود نصوص لبابوات روما تفصح عن دعوتهم، منذ فترة مبكرة، الى اعادة «ارض - اسرائيل» الى بني اسرائيل^(١٠).

ضمن هذا المسلسل التاريخي، الممتد بين الاسلام والعرب والغرب، بدا المسلم (العربي) متعصباً، محباً للسيطرة؛ وقد أدى الخلط بين العرب والاتراك الى ظهور صورة العربي كراهبي وبربري وقاس^(١١). وقد وجدت هذه الصورة من يبررها في الغرب، حتى الوقت الحاضر.